تقديـم

هيثم نافل والي

قاص وروائي عراقي مغترب

ألمانيا/ ميونخ

المذكرات؛ اعترافات على شكل من الأشكال، التاريخ يحمل لنا بين طياته الكثير من هذا النوع... ما يهمنا الإنساني منه، وكلما اتصفت بالمصداقية، الواقعية والجرأة كانت أقرب إلى القلوب، تسري وتمضي في النفوس كالسحر؛ يحبها الناس، يتابعونها، يقرأونها، يتعلقون بها ويتخذونها أسلوبًا من أساليب التعامل في الحياة.

إذا أردنا لأي عمل كتابي أن يكون ناجحًا؛ على مبدعه أن يراعي الصياغة، البناء والآداء في عمله؛ فإن توفرت تلك الأركان الأساسية، يحق لنا أن نطلق على صاحبها مبدعًا، وعمله بالإبداع، خاصة لو كان إنسانًا، سرعان ما سيصدقه الناس، يعتقدون بأفعاله وأقواله وبه يؤمنون.

ما نقدمه اليوم للقارئ العربي هو كتاب صالح حقيقي معافى من الأمراض الاجتماعية التي نجدها هنا وهناك، تلك التي لا تنقل لنا واقع الأحداث كما حدثت... هذا ما حفزني، شجعني وجعلني أملي على الناس مدخل كتاب الزهيري الذي شعرت به، أحسست بعاطفته الجياشة، جلست مع ذكرياته، صدقت اعترافاته بعد أن فرش لنا ذكرياته بساطًا مزركشًا بديعًا، جعلنا نرى من خلالها صورًا متحركة، لواقع كان قد رحل، لزمنٍ ولَّى واندثر، انتحر وما بقي منه غير صدى يرن بين الجدران يهز كياننا، يشدنا نحو الأرض التي ولدنا عليها، يقربنا من ماء بلاد الرافدين، نرتوي من دجلة والفرات حتى الثمالة،

ترجعنا إلى الوراء رغمًا عنا، تصف لنا كيف كُنَّا نقضي عصاري بغداد بين حاراتها وأزقتها، مقاهيها ومتاحفها، كيف كانت الحياة حياة رغم موتها!.

طاف بنا الزهيري في تاريخ لا يمكن لأي عراقي نسيانه أو تجاهله، رسم لنا خارطة لحياة حافلة بالعذاب مشبعة بالألم والقسوة، وهذه الصفات، أساس كل خير إن صحَّ التعبير، بل أساس كل وعي حقيقي صادق يشعر بما حوله، يتألم ويراعي الآخرين، يتعايش مع الواقع على أساس أن الإنسان أخو الإنسان، أبقى لنا خيطًا غير مرئي يربط كل مفاصل مذكراته، يتتبعها القارئ بشغف، لا يريد أن ينقطع عنها، يلتهمها، يتحرك معها، يعيش أجزاء أجزائها وهو يشعر وكأنه بطل تلك المذكرات.

عاش ضابطنا المندائي حياته رغم صعوبتها، متأقلمًا معها، متغلبًا على معوقاتها، ساعيًا إلى هدفه الذي خطَّط له منذ نعومة أظفاره، أن يكون مهندسًا للطائرات، كان هذا حلمه، طموحه، وكل ما يطمح له. درس واجتهد، تعذب وتألم، نال ونجح، سافر وحصل الشهادة التي كان يتمناها، برهن لنا، الفقر ليس عيبًا، لا يمكن أن يقف ضد الطموح، الإرادة الحرة لا تعرف ولا تعترف بالغنى أو البؤس، الغايات تحقق المعجزات... هذا ما فعله الزهيري بقلب خافق بالحب يزهو بالحياة.

قرأنا من قبل اعترافات روسو، أيام عميد الأدب العربي، مذكرات السادات، حياة الحكيم، مذكرات من منزل الأموات، حياة المائة عام الماركيزية من العزلة، حكمة لورانس في أعمدته السبعة، الرحيل إلى ميزوبوتاميا وغيرها... كلها كانت تصبُّ في نهر الصدق، نهر الواقع، نهر العذاب والقسوة والفقر والمرض والتخلف الاجتماعي الذي كان يعاني منه مجتمعات هؤلاء المبدعين.

وها هو اليوم يكشف لنا المهندس عباس الزهيري ملف حياته، كيف ولد، كيف عاش وترعرع بين نور الشمعة وضوء القمر، بين العوز والفاقة والحرمان، بين شرعية الطموح وحب الطلوع، أثبت لنا أن الحياة يجب أن تنقاد، أن نجرب

كيف نكون أصحاب القرار، متذكرين أن القلق كل عالمنا، لولاه لما استطعنا أن نكتب شيء ذا بال، الفحمة السوداء تشع نورًا يلهم الشعراء، هذا ما تصفحته ووجدته حاضر في مذكرات الضابط العراقي ببراعة وجرأة قل مثيلها في الكتب التي نحياها اليوم، يحق لنا أن نقول إنها اعترافات صادقة، نابعة من الأعماق بحق، واللؤلؤ لا نجده على السطح طافيًا.

أرجو له التوفيق في حياته الأدبية التي اختار السير فيها بادئًا بمذكراته التي سوف لن تنقطع مادام قلبه بالحياة يدق، كما أتمنى للقارئ العربي في كل مكان وزمان أن ينشد المتعة الخالصة في هذه المذكرات، يصل غاياتها، يأخذ منها عبرها، الحكمة التي تغلفها ليصون فيها واقعه ويعرف كيف يتغلب عليه بإصراره.

نفتخر أن يكون من بين رجالنا أناس لهم هذه الروحية العظيمة الخالصة الصادقة القادرة على سبر أغوار التاريخ من خلال مذكراته الجريئة التي وصلت حد نخاع الحقيقة بعد أن نزع القناع عن واقعه، فجاءت كلماته نبراسًا ينير للأجيال القادمة طريقهم، وتعبر باعتزاز عن عظمة الأمة التي أنجبت الزهيري.

obeikan.com

تقديـم

الدكتور / بشير عبد الواحد

المهندس عباس فاضل الزهيري ، المحترم...

أنت تعلم أن الحياة يرسم مسارها واحدٌ، وأحيانًا يقودها واحد... فـ(آدم) كان واحدًا، وكذلك رام وشورباي وسام الذين أعادوا بناء الدارة بعد فناء البشرية، مرة بالسيف والوباء وأخرى بالحريق وثالثة بالطوفان... وأنت تعلم أن حمورابي واحد ونبوخذ نصر واسرحدون وغيرهم من بناة الحضارة في بلاد ما بين النهرين... وهناك قادة غيروا مجرى التاريخ، وهناك علماء وأدباء وشعراء يُشار لهم بالبنان خلدتهم أعمالهم الكبيرة، وأنا أرى من الضروري أن يترك المرء بصمة خلال مرحلة حياته كذكرى عزيزة لأحفاده والأجيال القادمة، ولو على قدر إمكاناته، أفضل من ألا يترك شيء حسن يذكر.

المثل يا أبا زيد يقول رحم الله امرئٍ عرف قدر نفسه... وأنا أعرف من خلال زمالتنا بالعمل لسنين طويلة ذقنا حلوها ومُرها سويًا؛ أنك إنسان صاحب مبدأ وقيم وكفاءة في العمل والحياة، وهذا سر إعجابي وتمسكي بك، ومن هنا شجعتك على الكتابة، ليستفاد غيرك منك، معنى أن يكون المرء صاحب مبدأ وقيم وكفاءة، ولهذا أحب أن يحوي كتابك القادم تجسيدًا للمبادئ والقيم والكفاءة التي آمنت بها في عملك وحياتك أبو زيد...

وأنت تعرف أن المرء لا يحب أن يرى الآخرين أحسن منه إلا أولاده، وهذه غريزة إنسانية، على أن يكون التنافس شريفًا ومبنيًا على القيم والأخلاق، ولكن في مجتمع مثل مجتمعنا العراقي والمؤثرات الدينية والتربية البيتية زرعت مع

الأسف نوعًا من الأنانية والحقد في نفوس البعض، الذين وجدوا أنفسهم لا يستطيعون منافسة عباس وبشير المهندسين الأكفاء المندفعين للعمل بجد وإخلاص ووطنية ونكران ذات، القادة والمعلمين والمدربين الذين يعطون كل ما عندهم من معلومات قيمة لزملائهم بكل محبة، ليرتقوا بمستوى العمل والمسؤولية، مما أهلهم أن يتبوءوا مراكز المسؤولية المتقدمة في قيادة العمل والإنتاج، مما أغاظ اللئام ومعدومي الضمير، فخططوا بكل ما يحملوه من حقد وأنانية وتطرف ديني مقيت لإيقاف عجلة تقدمنا، وهم يعلمون أنهم بهذا العمل الجبان يلحقون ضررًا بليغًا بالعمل والوطن، فلحقنا يا أبا زيد جزء من هذا الضرر، والذي تجاوزناه بصدقنا وأمانتنا ومواقف زملائنا الشجعان، ومع هذا أصابنا كثير من الأذى، ومرت علينا أيام عصيبة تركت فينا آثار نفسية ومعنوية كبيرة، دفعنا ثمنها من صحتنا وراحتنا وقلق أهلنا وأحبائنا علينا، ولكن في النهاية لا يحق إلا الحق ولا يصح إلا الصحيح، إذ لا بد للخير أن ينتصر على الشر... ولا بد للنور أن يبدِّد الظلام.

أنا لا يمكن أن أنسى موقفك النبيل الشجاع مني شخصيًا، يوم خطَّط عدد من المسؤولين الحاسدين لإيقاف تقدمي في مجالات العمل والإنتاج، فنصبوا لي مصيدة لأننا كنّا أكفأ منهم بمراحل وأصدق وأكثر وطنية، رأس مالنا كفاءتنا وأمانتنا كمندائيين وعراقيين نجباء، وقد اتفقوا على الكذب والافتراء ليوقفوا تقدمنا في مواقع المسؤولية المتقدمة في الدولة العراقية، لكن في أحيان كثيرة يا عباس قوى الخير تنتصر على قوى الشر وليس دائمًا، ولولا موقفك المشرف وموقف زملائك الأشراف؛ لكنتُ ضحية الظلم والطائفية والغيرة والحسد.

بارك الحي العظيم فيك وفي ذريتك، وبكل نزيه شجاع لا يخاف في قول كلمة الحق لومة لائم، ودمت أخًا وصديقًا وفيًا، وبورك في خدماتك لأبناء طائفتك في كل مكان تحل فيه، وحاليًا في الدنمارك.

المخلص ، أخوك د. بشير عبد الواحد يوسف